كلمة الافتتاح / Ingrid Parent
تُلقيها رئيسة الإفلا

المكتبات قوة للتغيير: مُلهمة، مُفاجئة، مُمكنة!

Session: 70 — Opening Session

الزملاء الأعزاء:

يسرني كوني رئيس الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات أن أرحب بكم في المؤتمر الثامن والسبعين في هلسينكي تلك المدينة التاريخية الجميلة. كما أننا في غاية الامتنان لزملائنا الفنلنديين لقبولهم استضافة مؤتمرنا هذا العام.

إن دعم فنلندا الرائع لنظمها المكتبية (1) وإصرارها على إتاحة المكتبات لكل مواطني الأمة يجعل من هذا المكان مناسبًا جدًّا للقائنا هذا الأسبوع. فتضم سياسة الحكومة هذه الفلسفة المتنورة التي تُقر إصرار الفنلنديين على جعل المكتبات حجر زاوية في ديمقراطية بلادهم.

أود من جانبي أن أتقدم بخالص شكري وتهاني لزملائنا في الإفلا من أعضاء اللجنة القومية الذين عملوا جاهدين لتحويل هذا المؤتمر إلى حقيقة. وهو ما يتطلب جهدًا هائلاً وتكريسًا للوقت وحماسًا كي يكون مؤتمرًا مثل هذا مُثمرًا.

أود بشكل شخصي أن أُقر بدور اثنين من الحضور الأول هو د. David Farrar نائب الرئيس الأكاديمي لمؤسستي الأم جامعة كولومبيا البريطانية. يسرني انضمامه إلينا اليوم ليشهد مُباشرة ما تقوم به الإفلا والمكتبات من عمل مهم على مستوى العالم. وأود التعبير من خلاله عن تقديري للجامعة التي سمحت لي ببعض الوقت الذي أتخلى فيه عن بعض مسئولياتي كأخصائي مكتبات في الجامعة، كي أتمكن من القيام بمهامي كرئيس للإفلا. أنا في غاية الامتنان لجامعة كولومبيا حيث جعلت الموازنة بين المهمتين أسهل في تحقيقها.

وأخيرًا، أود أن أشكر زوجي Marc Parent فقلما تُتاح الفرصة لشكر زوجك أو ربما معانقته أمام عدة آلاف من الحضور وأود أن أستغل هذه الفرصة الآن. لقد صبر كثيرًا على غيابي المُتكرر عن المنزل، أشكرك يا Marc!، أبشر لقد أمضيت نصف فترة رئاستي للإفلا وستراني أكثر في وقت أقرب مما تتخيل.

لقد كتبت كلماتي اليوم تحت عنوان "المكتبات قوة للتغيير: مُلهمة...مُفاجئة...مُمكنة". إن هذا العنوان بالطبع مزيج من موضوعي وموضوع المؤتمر، وأنا واثقة أنكم ستكتشفون مدى مُلائمة هذا المزيج على مدار الأيام القليلة القادمة.

يشمل موضوعي المكتبات قوة للتغيير مبادئ:

- الشمولية: حيث يُمكننا موقعنا المتميز أن نكون مركزًا لإرساء الديمقراطية في إتاحة المعلومات للجميع بغض النظر عن العرق أو الدين أو اللغة.
- التحول: حيث يُمكننا بمعنى الكلمة تغيير حياة الناس بألا تكون المكتبات مراكز للبحث الفردي والدراسة ومتعة القراءة ولكن أن تكون أيضًا أماكن للتجمع تُشجع على التفاعل الاجتماعي وحوار المواطنين والجيران.
- الابتكار: حيث نسعى لأساليب مُبتكرة لتطوير خبرات مُستخدمينا، وأخيرًا
- تقارب المصادر والمُبادرات لتوحيد المهن المعلوماتية.

وسيكون تطبيق هذه المبادئ هامًّا لجعل المكتبات قوة حقيقية للتغيير، التغيير الإيجابي خلال السنوات القادمة.

إن أفضل ما يُتيحه أن تكون رئيسًا للإفلا هي فرصة الالتقاء بمجتمع المكتبيين الدولي الرائع والمؤسسات التي يمثلونها. ورأيت كيف يُمكن أن تكون المكتبات مُلهمة...مُفاجئة...مُمكنة.

لم يكن صعبًا أن يُلهمنا ما تحدثت عنه سبتمبر الماضي في مؤتمر تونس الذي تناول موضوعه(2) الدور الهام الذي تلعبه المكتبات في المُجتمع. كان هناك 110 مشارك ينتمون إلى العديد من البلدان يُمثلون شمال أفريقيا وأمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأوسط وآسيا. وكان من الرائع أن نسمع الآراء المُختلفة حول كيفية مَساعدة القراءة للمُجتمعات أن تصل بين الأجيال عبر العمر والجنس والثقافة.

ولكن بالطبع، كان هناك شئ آخر يجب أن ننتبه له في هذا المكان لقد كانت تونس أول دولٍ ما يُسمى بالربيع العربي في المنطقة إطاحة بالحكومة الاستبدادية. ولمست بحواري مع الشباب هناك لمست فيهم تعطشًا هائلاً لمعرفة كل معلومة يستطيعون الوصول إليها، ويتزايد توجههم للمكتبات.

بعد ذلك بشهر، كنت في ماريبور بسلوفينيا لحضور المؤتمر نصف السنوي لجمعية المكتبات في سلوفينيا حيث تحدثت عن الدور المتغير للمكتبات وما لديها من قوة خاصة لإحداث فرق في حياة الناس. لقد أذهلتني الأسئلة المُثيرة التي أثارها المُشاركين في المؤتمر حول المكتبات كونها أماكن للحوار والمعرفة، وعن وضع المكتبات الصاعد، وأدوار المكتبيين المُتغيرة، والتفاعلات الجديدة والمُختلفة مع المستخدمين في العصر الرقمي. وكيف يُمكن أن تؤدي إجابات هذه الأسئلة إلى استنتاجات بشأن دور المكتبة المُعاصرة في القرن الحادي والعشرين.

كما فاجأني فخر الشعب الإسباني لاحتفاله بالعيد الثلاثمئة لمكتبتهم الوطنية في ديسمبر الماضي. وبالطبع انتقلت إلى سعادتهم بكنزهم القومي الذي تمتد جذوره ثقافيًا وتاريخيًا.

لقد بدأ افتتاح هذا المعرض الرائع ستة من الفعاليات، وحضر ملك وملكة إسبانيا وكانا في غاية الاهتمام والانبهار بمجموعة مُقتنيات المكتبة الوطنية والتي تُعد تراثًا يجب الحفاظ عليه وإتاحته للجميع. وقام الإعلام بتغطية هذه الفعاليات بتفاصيلها ورفع مكانة المكتبة الوطنية وكل المكتبات في إسبانيا.

حضرت بالقرب من موطني كندا '*Congrès des milieux documentaires du Québec*' وحضر معي اثنين من زملائي (3) في الإفلا لتوضيح الدور الذي تقوم به الإفلا كمؤسسة دولية في دعم المكتبات. يجمع هذا المؤتمر السنوي العديد من المكتبات ودور الوثائق وغيرها من المؤسسات المعلوماتية في فعالية كبرى تجذب أكثر من ألف مُشارك. وكانوا ودودين جدًا معي حتى أنهم أقاموا فعالية على شرف حضوري.

شاركت في اجتماعات شبيهة مُثمرة بها نسبة مُشاركة عالية مع زملائي من مؤسسات مكتبية في أماكن أخرى في كندا مثل: أونتاريو وكولوبيا البريطانية وفي المؤتمر السنوي لجمعيتنا الوطنية. إن نسبة استخدام المكتبات في كندا مرتفعة مثلها مثل فنلندا وتعمل المكتبات الكندية مثل نظيراتها الفنلندية كقيادة لتطوير ممارسات مكتبية مُبتكرة. وتُعد أحد مكتبات بلدي كندا مثالاً على هذا الابتكار بإعادة صياغة شكل استخدام المساحة المكانية بعمل أماكن تتسم بالمرونة لتلبي احتياجات مُختلف المُستخدمين من الدراسة الفردية، والتعاون الجماعي. وقد عبر المكتبيون الكنديون في كل الاجتماعات عن اهتمامهم بعمل الإفلا في استكشاف ما يُمكن على المستوى الدولي.

وكان حضوري أول اجتماع كرئيسة الإفلا في أبريل بفانكوفر من أكثر اللحظات التي شعرت فيها بالفخر. لقد كان حركة نحو تمكين المشاركين في هذا اللقاء الدولي حول معرفة الشعوب الأصلية: الأولويات المحلية، والسياقات العالمية. لقد كان هذا الاجتماع يومان مليئان بالمعلومات بصورة مُذهلة والمنُاقشات مع مُتحدثين من الشعوب الأصلية لكندا وفنلندا والولايات المُتحدة الأمريكية ونيوزلندا. لقد اجتمعنا لتبادل الآراء حول تنسيق وملكية المعارف والمعلومات التقليدية.

بل حمل الاجتماع أكثر من ذلك، أقر المُتحدثون خلال الاجتماع بعض الأحداث التاريخية المؤلمة والتراجيدية بين الشعوب الأصلية وغير الأصلية للعديد من الأمم. أحداث مؤلمة ذات أثر ضار ومُباشر على ثقافات الشعوب الأصلية، ولكن تطلع المشاركون آملين في المستقبل أيضًا وطرحوا أمثلة لأساليب جديدة لجمع ونشر المعلومات التي تحترم تقاليد العوب الأصلية ومُنفتحة قدر الإمكان للآخرين.

يُمكنكم التخمين بالطبع أن هذه الفعالية تخطت مجرد تبادل المعلومات فقد عبر مُمثلون عن السكان الأصليون عن آرائهم في صورة كلمات وأغاني بلغاتهم ولا يمكنك عند ذلك إلا أن تتأثر حتى تدمع في بعض الأحيان حتى وإن كنت لا تفهم لغتهم.

كانت تويجا جوترم المكتبية في مركز سآمي الثقافي بإيناري في فنلندا أحد المُشاركين في الاجتماع. تحدثت بشكل مؤثر عن مشروع المكتبة العابرة التي تسعى لتقديم ثقافة وأدب السآمي للناس في مُجتمعها. وقد كان مؤثرًا جدًا أن قالت في آخر المؤتمر أنها اكتشفت عندما سمعت الغناء أنها لم تكن الوحيدة التي لها إخوة وأخوات في كل مكان.

وربما كان أكثر ما أسعدني ما سمعته من Ed John الذي تقلد العديد من المناصب لعل أبرزها مُمثل أمريكا الشمالية في منتدى الأمم المتحدى حول شئون الشعوب الأصلية. فقد امتدح الإفلا لاجتماعها للسماع لآراء السكان الأصليين كما طلب منا أن نستمر في هذا العمل القيم.

شهد أبريل أيضًا افتتاح عاصمة الكتاب العالمية للعام 2012 في يريفان بأرمينيا. وكانت الإفلا أحد أعضاء لجنة اختيار عاصمة الكتاب العالمية وتمت دعوتها لحضور الافتتاح وإلقاء كلمات قليلة. كان الحفل مُبهرًا وحضره أبرز رموز أرمينيا السياسية والدينية وبدا لي وكأن كل سكان المدينة قد حضروا. وكان فخر الأرمنيون الشديد كبارًا وصغارًا واضحًا بتلقيب مدينتهم بعاصمة الكتاب العالمية. وأذهلتني نظرتهم لأهمية الكتب واللغة في الحفاظ على الثقافة والهوية الأرمنية والترويج لهما.

ما هذه التي ذكرتها إلا أمثلة قليلة مما شلهدته في المكتبات حول العالم والتي تُعد مُلهمة، أحيانًا مُمكنة، دائمًا مُمكنة.

ورما أهم ما تحتويه المكتبات هي المعارف والحكمة المتواية عبر كل الأجيال. وتُمكن المواطنين كونها مستودعات للتاريخ والثقافة والترث بالشعور بماضيهم ومكانهم في الحاضر وآمالهم في المستقبل.

ولا أعني بالطبع أن كل شئ في المكتبات كما ينبغي له أن يكون. يستمر الأثر المباشر بل وربما المُحبط للاقتصادات التي تُعاني وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الدائمة التغير على الأعمال المكتبية.

والسؤال يكمن هنا في كيفية تعامل الإفلا بالنيابة عنكم على المستوى الدولي أفضل تعامل مع هذه الحقائق وكيف تقوم أيضًا مكتباتكم وجمعياتكم المكتبية بنفس المهمة في بلادكم؟. لقد أظهر العالم الرقمي الصاعد تأثر المكتبات بالتطورات العالمية سياسة كانت أو اقتصادية أو اجتماعية.

لقد قلت كثيرًا أنه ينبغي علينا فعل شئ وفقًا للمعتقدات البيئية أن نُفكر عالميًا ونعمل محليًا وفي حالة المكتبات ومؤسساتنا المُتحدة معًا علينا القيام بالاثنين معًا. أي علينا أن نُفكر ونعمل أيضًا على المستوى العالمي والمحلي.

تقوم الإفلا بحشد الدعم للمكتبات بالنيابة عنكم. وتصل فوائد هذا الدور إلى جمعيات المكتبات الوطنية والإقليمية لديكم مُساعدةً إياكم على تحديد ما يجب أن تقوموا به.

تشمل مثل هذه الأعمال لحشد الدعم ما نقوم به من عمل هام لتشجيع الدول الأعضاء في المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية (WIPO) على تبني حدود واستثناءات قانونية في حقوق الطبع والنشر خاصة بالمكتبات ودور الوثائق. مما يجعل هناك إطارًا قانونيًا يسمح لهم بالاستمرار في حفظ مُقتنياتهم ودعم التعليم والبحث العلمي وإعارة المواد الإلكترونية.

يعتمد استمرار المكتبات كوسيط موثوق به بين صناع المعرفة والقائمين عليها ومُستخدميها في القرن الحادي والعشرين على لبتطلع على تشريعات متوازنة لحقوق الطبعوالنشر على المستويين المحلي والدولي.

لذلك أرسلت الإفلا خلال العام الماضي مُمثلين عنها لاثنين من اجتماعات االلجنة الدائمة لحقوق الطبع والنشر والما يتعلق بها من حقوق في منظمة العالمية لحقوق الطبع والنشر.

كنت والعديد من الزملاء من لجنة حقوق الطبع والنشر والشئون القانونية الأخرى في جنيف خلال نوفمبر الماضي لحضور أحد اجتماعات اللجنة الدائمة. وأتاح لنا موقعنا كمُلاحظين أن نوضح موقفنا أمام اللجنة الدائمة بأكملها. وكنت في غاية الانبهار من استغراق أكثر من 180 دولة من الأعضاء في مُناقشات حول مزايا حدود واستثناءات حقوق الطبع والنشر. وستستمر حدود واستثناءات حقوق الطبع والنشر للمكتبات ودور الوثائق لقد كانت هذه فقط البداية.

عندما اجتمعت اللجنة الدائمة مرة أخرى في يوليو وبالرغم من عدم احتلال المكتبات ودور الوثائق جزءًا كبيرًا من جدول الأعمال فقد تبنت اللجنة رسميًّا أحد وثائق الإفلا التي تُعد أساسًا لنقاشات المُستقبل. ستستمر حدود واستثناءات حقوق الطبع والنشر للمكتبات في احتلالها جزءًا من مُناقشات المنظمة العالمية لحقوق الطبع والنشر وستستمر الإفلا في وجودها للترويج للقيم الأهم لخدمة مُستخدينا بصورة أفضل.

وسواء كنا نتحدث عن عن حدود واستثناءات حقوق الطبع والنشر أو قضايا التداول الحر أو محو الأمية المعلوماتية أو حرية الوصول إلى المعلومات وحرية التعبير فستواجهنا صعوبة كبيرة في عملنا إذا لم يُشارك أعضاء الإفلا الوكنيون والمؤسسيون مُشاركة فعالة.

إن علاقتنا يعتمد فيها كل على الآخر حقًّا، فبالعمل معًّا يعلو صوتنا ويزيد من فرصة سماع وجهات نظرنا. إن جهودنا المُشتركة في غاية الأهمية لضمان وجود المنظور المكتبي في النقاش حول السياسات العامة. وبذلك يُمكننا إعادة تشكيل الحوار وطرح أهمية المكتبات على جدول الأعمال المحلي والدولي.

وبالطبع هذا هو ما انعقد المؤتمر من أجله، إنه الدعم المُتبادل وتبادل الأفكار. أؤمن بأن لدى جميعكم القوة التي تُمكنكم من جعل جمعياتكم المكتبية ومكتباتكم قوة للتغيير خلال السنوات القادمة.

أعلم أنكم سوف تتبادلون أفكارًا غاية في الابتكار للترويج لقيمة المكتبات في مُجتمعاتكم. وأشير إلى أحد الأفكار المُلهمة والتي كانت مسيرة بالدراجات تحت شعار المكتبات والذي كان بين 28 يوليو و7 أغسطس، امتد لمسافة 600 كم مارًّا بليتوانيا ولاتفيا وإستونيا زار خلالها راكبوا الدراجات مكتبات والتقوا بزملائهم من المكتبيين. وأعتقد أن الوصف على موقع تلك المسيرة مناسب جدًّا لأفكارنا. يقول:

"توجد هنا العديد من القيم الموروثة من أمانة المكتبات: الانفتاح والليبرالية والوصول للمعلومات والتعلُّم مدى الحياة والابتكار. وتتسم أمانة المكتبات بطبيعتها بالإنسانية والعالمية".

شاركت Pekka Heinkkinen وسجلت لقاء المسيرة بوزير الثقافة في لاتفيا الذي شاركهم ركوب الدراجات لمسافة ميل على الأقل وذُكرت هذه الفعالية في الأخبار على شاشات التلفزيون. أفهم أيضًا اقتراح Pekkaفعالية أخرى تحت عنوان "الأكل من أجل المكتبات". وهي تبدو فكرة مُبتكرة أيضًا، كل من أجل المكتبات تزد وزنًا ثم تركب الدراجات من أجل المكتبات أيضًا لتفقد ما زدته من وزن".

إن أكثر ما أتمناه في هذا المؤتمر أن تكونوا نشطين مُتحمسين لما يُمكن أن تفعلوه مع بعضكم البعض أو كل على حدى تُحدثون فرقًا في حياة الناس، وبطرق غالبًا ما كنتوا لتعلموا أن باستطاعتكم القيام بها. في النهاية يُمكن أن تكون وجهة المُجتمعات كونها مراكز للمعلومات والنشاط المُجتمعي والاندماج والقيم الديمقراطية.

أؤمن أيضًا أن لمثل هذه المؤتمرات حياة تستمر طويلاً بعد انتهائها، إنها دعوة لفعل شئ. لدينا المزيد من القوة للتأثير على عدد أكبر من الناس أكثر من أي مؤسسات عامة أخرى.

خالص شكري،

Ingrid Parent

ئيس الإفلا 2011-2013

[1]Ministry of Education and Culture - Library policy. In Finland the guiding principle in public libraries is to offer free access to cultural and information sources for all irrespective of their place of residence and financial standing. The use of library collections at the library and borrowing are free of charge.

[2]*"Reading is a link between generations: Toward a more interdependent society."*

[3]Suzanne Payette and Claude Bonnelly.